الأخبار والأسرار، والذي لا يأخذه غضب أو ضجر، ولا تعصّب أو محاباة، والذي لا يعكّر صفاء ذهنه سهو ولا خطأ ـ أمّا ذلك المعلّم فهو الطبيعة.

وأمّا المدرسة التي لا تحصرها سقوف وجدران، والتي برامجها منسّقة تنسيقاً يفوق تصوّر الإنسان، والتي مدة الدراسة فيها تمتدّ ما امتدّ الزمان، والتي تديرها حكمة تتحدّى العقل والوجدان ـ أمّا تلك المدرسة فهي الطبيعة كذلك.

أجل. هي الطبيعة أمّنا الرؤوم. منها لحومنا وعظامنا. ومنها أنفاسنا وأنباضنا. ومنها غذاؤنا وكساؤنا ومأوانا. ومنها مهودنا ولحودنا. تبارك من سوّاها فجعلها لنا كتاباً ومدرسةً ومعلّماً، ثمّ أعطانا مقدرة النطق والتمييز، ولقننا الهجاء فكان في استطاعتنا أن نقرأ في كتابها قراءة لا انقطاع فيها ولا فتور، ولا ملل ولا سأم. وكتاب الطبيعة كتاب عجيب ما لصفحاته عدّ ولا لصوره ومواده حصر. وهو مفتوح أبداً لكلّ ذي حسّ وإدراك. بل إنّنا لو شئنا أن نطويه وأن نحجب أبصارنا وباقي حواسّنا عنه لما وجدنا إلى ذلك سبيلاً. وإن نحن أعرضنا بأبصارنا وأفكارنا عن القبة الزرقاء وكل ما فيها من عوالم شاسعات فكيف نعرض